﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨﴾

[المؤمنون: 37 - 38]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الـرّبـط بـينَ إنـكـار البعث واسـتـبـعـاده، وبـين أقـوال الـغـطـرسـة والـعُـدوان المُجانفة للعقل والبرهان

لمّا ذَكَر تعالى في الآية السّابقة سخريةَ المَلَأ وتَنَدُّرَهم على عقيدة البعث والإعادة بعدَ الموت، محاولةً منهم لهدم هذا الأصل بالاستخفاف والاستعجاب، وهي حيلةُ كلّ متجهّمٍ تقودُه الغَطرسةُ والعدوان، ولا يقودُه العقلُ والبرهان؛ أخبر - هنا - عن تقريرهم لعقيدتهم في الوجود والحياة، وأنّه لا بعثَ ولا إعادةَ، وأنّ الحياة هي المعاشُ الدُّنيويّ - فقط - في هذه الدّار، وهي المُنتهى والقرار، ولا حسابَ بعدَها ولا جزاءَ، وكلُّ الخلائق في مصيرهم إلى الفناء سواء.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾: (حيّ) أصْلٌ يَدُلُّ على خِلافِ المَوتِ[1]، والحَيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: نَقيضُ المَيِّتِ، وحَيِيَ، يَحْيا، فهو حَيٌّ، ومِنه الحَيَوانُ، وهو كُلُّ ذي روحٍ، ناطِقًا كان أو غَيرَ ناطِقٍ، والحيُّ مِنَ النَّباتِ: ما كانَ طَرِيًّا يَهتزُّ، وأرضٌ حَيَّةٌ، أيْ: مُخصِبَةٌ، وطَريقٌ حَيٌّ، أيْ: بَيِّنٌ[2]، والحياةُ الدُّنيا مُرادٌ بها ما تشتملُ عليهِ منَ اللَّذّاتِ والمُلائماتِ والذَّواتِ الحَسَنَةِ، وهذا إطلاقٌ مشهورٌ لها، والدُّنيا: مُؤَنَّثُ الأدْنَى، أي: القريبةُ، بمعنى الحاضِرةُ[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حيي).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (حيي).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 2/ 294، 18/ 56.

2) ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾: أصْلُ الكلمةِ مِنَ الفَرْيِ، وهوَ: القَطْعُ والشَّقُّ، يُقالُ: أفْرَى الذِّئْبُ بَطْنَ الشّاةِ يُفْري فرْيًا، أي: شَقَّهُ، ومِنْهُ الفِراءُ، وهوَ الجِلْدُ؛ لأنَّهُ يُقْطَعُ، ويَأْتي الفَرْيُ بِمَعْنَى الصُّنْعِ والاخْتِلاقِ، وسُمّيَ الكَذِبُ فِرْيَةً وافْتِراءً؛ لأنَّ المُفتَري يَقْتَطِعُ الكَلامَ اِقْتِطاعًا مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ[1]، والافتراء: الكَذِبُ، والجَمْعُ: فِرًى، يُقالُ: افْتَرَى يَفْتَري افْتِراءً، أيْ: كَذَبَ، وقيلَ الإفْتِراءُ: الكَذِبُ العَظيمُ، وقيلَ: الكَذِبُ المتَعَلِّقُ بِالأعْراضِ، ويَأْتي الافْتِراءُ بِمَعْنَى البُهْتانِ والظُّلْمِ[2]، والمراد بالافتراء في الآية: الاختلاق، وهو الكذبُ الَّذي لا شُبهةَ فيهِ للمُخْبِرِ، أي: اختَلَق على اللّه الكذبَ فيما يقولُه ويدعو إليه[3].

3) ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾: (أمن) أصلانِ مُتقاربانِ، أحدهما: الأمانةُ الَّتي هي ضِدُّ الخيانَةِ، ومعناها سُكونُ القَلْبِ، والآخَرُ: التَّصْديقُ[4]، والإيمانُ: إقرارٌ بالشَّيء عن تصديقٍ به، وضِدُّه: الكُفر، يُقال: آمن به إيمانًا: صدَّقه، ويُستَعمل تارةً اسمًا للشَّريعة الَّتي جاء بها محمَّد ﷺ، وعلى ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة: 69]، ويوصَف به كلُّ مَن دخل في شريعته مُقِرًّا باللّه وبنُبوَّتِه، وتارةً يُستَعمل على سبيل المَدْح، ويُرادُ به إذعانُ النَّفسِ للحَقِّ على سبيل التَّصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيقٌ بالقَلْب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: 19][5]، والمُرادُ بالإيمان في الآية: الإذعانُ والتَّصديق، أي: ما نحن بمُذْعنين لقوله ولا مُصَدّقين به، ولتَضمُّن الإيمانِ معنى الإذعانِ والتّسليم عُدّيَ باللّام، أي: ما نحن بمُصَدّقين، ولا مُذْعنين له[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قال الملأ من قوم هود لقومهم: ما هذا الَّذي يَزعُمُ أنَّه رَسولٌ، سِوى رَجُلٍ يَختَلِقُ على

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (فري).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 449، وابن منظور، لسان العرب: (فري).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 18/ 57، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 33.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمن).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (أمن).
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5073.

اللّهِ كَذِبًا، بأنَّه أرسَلَه بالتَّوحيدِ، وأنَّه يَبعَثُ عِبادَه أحياءً بَعْدَ المَوتِ، وما نحنُ له بمُصَدِّقينَ فيما يقولُه مِن تَوحيدِ اللّهِ والبَعثِ بَعدَ المَوتِ[1].

من عادات أهل الضَّلال، رميُ الرُّسلِ بالكذب والانتحال

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة جملة ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾:

جملة ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ بيانٌ وتفسيرٌ لجملة الاستبعاد، في قولهم: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾، فهي في معنى التّوكيد الشّارح لها[2]، "وتحقيق المعنى: أنّهم قالوا: نموت نحن ويحيا أولادنا، ولا بعثَ بعدَ الموت، وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخير، والمعنى: نحيا ونموت فلا نحيا، وقيل المعنى: نكون أمواتًا نُطفًا، ثمّ نحيا في الدّنيا"[3]، وفي جميع الأحوال، فإنّ هذه العبارة تُلْمِح إلى تكذيبهم السّافر بالبعث، وتأكيدِهم أنّ الحياة إنّما تنحصر في الدّنيا، ولا حياةَ بعدَها في زعمهم.

كلٌّ يستزيد مِن جنس ما هو مُشَبَّعٌ به، ومألوفٌ لديه

دلالة ﴿إِنْ﴾ النّافية، الموازنةِ لـ (لا) الجنسيّة:

﴿إِنْ﴾ في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ هي النّافيةُ الموازنةُ لـ (لا) النّافية للجنس، كأنّهم قالوا: لا وجود إلّا هذا الوجود الّذي نحن فيه، أو لا حياةَ كائنة إلّا حياتنا الدّنيا، و﴿إِنْ﴾ النّافية هنا واردةٌ في نفي الحقيقة، مع إفادتها للاستمرار، فالمراد بالتّركيب نفيُ حقيقةِ الحياة الآخِرة، معَ استمرار حصول الحياة والموت في الدّنيا، كأنّهم قالوا: لا آخِرةَ ولا إعادةَ، بل الحياة الدّنيا هي دَيْدَنُنا المستمرّ، في حصول الميلاد والوفاة فقط، فالخلْق مُستمرّون في هذين، ولا وراء لهما[4].

قيمة الحقائق بوجودها في الواقع، لا بما تتوهَّمُه الأذهان

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 45، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 124، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 474.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 276.
(3) مكّيّ، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 7/ 4965.
(4) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 199.

بلاغةُ القَصْر في السّياق المُحكم:

أهـمـيّـة قـصـر المبالغة والتزيّد، في الإبـانـة عـنِ المراد

في اجتماع النّفي والاستثناء في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾؛ إفادةٌ لقصر الموصوف على الصّفة، أي: قصرُ جنسِ الحياة على حياتهم الدّنيا، وهو قصرٌ ادّعائيّ كاذبٌ غيرُ تحقيقيّ، وهو رديف القَصْر الإضافيّ[1].

دلالةُ إضافةِ الحياة إلى ضميرهم:

الـكـافـر مـآربُـهُ مُـكَـرّسـة لإمتاع نـفـسـه، لا لإرضاء ربّه

في قولهم: ﴿حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾، أضافوا الحياة إلى ضمير أنفسِهم، وهو يشمل ذواتَ المتكلّمين، وذواتَ المُخاطَبين، والإضافةُ بمعنى الاختصاص، أي: حياةٌ لنا في الدّنيا، وفي ذلك إشارةٌ إلى عدم اعتقاد الكافر أنّ حياتَه ومماته للّه، بل لنفسه وذاتِه، قال الزّمخشريُّ: "هذا ضمير لا يعلم ما يُعْنَى به إلّا بما يتلوه من بيانه، وأصله: إنِ الحياةُ إلّا حَياتُنا الدُّنْيا، ثمّ وضع ﴿هِيَ﴾ موضعَ الحياة؛ لأنّ الخبر يدلّ عليها ويبينها"[2].

سِرّ وصفِ الحياة بلفظ ﴿ٱلدُّنْيَا﴾:

وَصْفُ الحياةِ بالدّنيا، في قولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾؛ إشارةٌ إلى مبلغ علمهم المُتضائلِ، وقِصَرِ نظَرِهم المحدود، حيثُ حصروا حياتَهم في الدّار الأدنى، والمقام الدَّنيّ.

مرجع ضمير التّأنيث المنفصل ﴿هِيَ﴾:

(إن) النّـافـيـة تـدخـل عـلـى ما يُـفـيـد الحقيقةَ والماهيّة

الضّمير في قوله: ﴿إِنْ هِيَ﴾، يعود على ما بعدَه لفظًا ورُتبة، وهو لفظ (الحياة) الواقع خبرًا، في قوله: ﴿حَيَاتُنَا﴾، على تقدير: (إنِ الحياةُ إلّا حياتُنا)، وفائدةُ التّعبيرِ بالضّمير دونَ الظّاهر: تلافي التّكرارِ، لاسيّما وأنّ تَعَيُّنَ المرادِ منَ الضّمير يُغْني عنِ التّصريح

(1) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 173.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 468.

به[1]، ويَصِحّ أنْ يكون مفسِّرُ الضّميرِ هو الحقيقة الذّهنيّة الوجوديّة المفهومة من سياق الكلام، على تقدير: (ما الوجود إلّا حياتنا)، أو (ما الأحوال إلّا حياتنا)[2].

نُكْتَةُ عَودِ الضّمير على مذكورٍ بعدَه:

يتأخّرُ مرجِعُ الضّمير، إذا كان ما بعد الضّمير بيانًا له

﴿إِنْ﴾ النّافية - هنا - بمنزلةِ (لا) النّافيةِ للجنسِ؛ لكون الضَّمير بمعنى الحياةِ الدّالة على الجنسِ في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾[3]، والنُّكْتَة من عَوْد الضّمير ﴿هِيَ﴾ على مذكور بعدَه: قَصْدُ الإبهام ثمّ التّفصيل؛ ليتمكَّنَ المعنى في ذِهن السّامع، وهذا من مواضع عودِ الضّمير على ما بعده - إذا كان ما بعدَه بيانًا له[4].

دلالة موقع جملة ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾:

الحياةُ والموتُ المَذكوران، هما الميلادُ والوفاة في الدّنيا

جملة ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ مفسِّرةٌ لِدعواهم واعتقادِهم من أنّ حياتهم لا تكون إلّا كذا[5]، ولذا فالجملةُ مفسِّرة لاعتقادهم الباطل، وليست مقرِّرةً للاعتقاد الصّحيح بالحياة بعد الموت، إذ لو كان ذلك كذلك؛ لكان قولُهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ موجِبًا لمدحهم لا ذمِّهم، ولكان متناقضًا مع سياق الإنكار السّابق عليه، واللّاحق بعده في قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[6].

سِرّ تقديمِ (الموت) على (الحياة):

المشكلةُ عندَ الماديّين دائمًا تتعلّقُ بالغيب

تقديمُ الموتِ على الحياة في قوله تعالى: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، ليس على إرادة التّرتيب؛ لأنّ الواو لا تُفيد ترتيبًا[7]، بل تُفيد مُطْلَق الجمعِ والتّشريك في الحُكم، والجمعُ هنا على جهة التّوزيعِ لا الاقترانِ، أي:

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 134.
(2) الخطيب، التّفصيل في الإعراب: 9/ 56.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 134.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 55.
(5) السّمين، الدّرّ المصون: 8/ 342.
(6) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 120.
(7) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 234، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 56.

يموت مَن يموت بالوفاة، ويحيا من يحيا بالميلاد، وليس المراد: أنّهم يموتون جميعًا، ويَحْيَون جميعًا مقترنين، ولم يقل: (نَحْيا ونَموتُ)؛ لتقديم الغايةِ والمُنتَهى، على المَبْدَأ والمنشأ؛ لأنّه أمْكَنُ في النّظم؛ فالسّياقُ من حيثُ المعنى، واردٌ في استبعاد الإعادة بعدَ الموت، بترويج أنّ الموت هو غايةٌ لا بَعْدَ لها، فلمّا دار النّظمُ حولَ الموتِ في السّياق السّابق، في قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾؛ ناسبَ أن يُجاوِرَ الموتَ في قوله: ﴿نَمُوتُ﴾؛ ولمّا ذكر في السّياق اللّاحق البعثَ في قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾؛ ناسبَ أن يُجاوِرَ الحياة في قوله: ﴿وَنَحْيَا﴾، فلمّا كانت القضيّةُ بينهم وبينَ الرّسل متعلّقةً بما بعد الوفاة منَ البعث، ولم يكن الخِلافُ مُتعلّقًا بما بعد الميلاد - قدّم الموتَ.

أسلوبُ الطّباق بين ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾:

بيان أنّ الكافر قصيرُ البصر، ضعيفُ النّظَر

بين قوله: ﴿نَمُوتُ﴾، ﴿وَنَحْيَا﴾ طباقٌ بالإيجاب، جرى بين ضدّين، وقيمة الطّباق تظهر في الجمع بينَ المبدأ والمنتهى المحدودَيْن - بحسب اعتقادهم -؛ لإظهار قِصَر عقولهم في اختزالهم الوجودَ الإنسانيّ في عالم الشّهادة المحسوس المحدود، بالزّمنيّة والمكانيّة الدّنيويّة.

دلالةُ جملة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾:

إنكارُ البعث دليلٌ على أنّ الكافر يجمع بين خطإ التّقدير، وضحالةِ التّفكير

جملة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ معطوفة على جملة ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾[1]، وداخلة في حيّز تأكيد استبعادهم، وهو منَ الإطناب والإطالة في التّنظير؛ لتقرير الأباطيل بأبلغ مجهود، ومفاد هذه العبارة: "ما نَحْنُ بِمَبْعوثينَ مُنَشّرين من قبورنا أحياء، بعد ما متنا فيها، كما نشاهد من سائر الأشياء، يعني: لا منزلَ لنا سوى الدّنيا، حياتُنا فيها ومماتُنا فيها، لا دارَ لنا غيرُها"[2]، والجملةُ المعطوف عليها

(1) صافي، الجدول: 18/ 178.

(2) نعمة الله علوان، الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة: 1/ 569.

إقرارٌ بالحياة والموت؛ باعتبارهما واقعًا ما له من دافع، والجملة المعطوفة إنكارٌ لوجود الآخرة بعد الدّنيا، وذلك بنفي البعث مطلقًا.

دلالة الباء في قوله: ﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾:

الباء في قوله: ﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾ صِلة؛ زيدت للتّأكيد مبالغةً منهم في إنكار البعث ونفيه[1]، قال في روح البيان: " انظر كيف عميت قلوبُهم، حتّى لم يَرَوا أنّ الاعادة أهونُ من الابتداء، وأنّ الّذي هو قادرٌ على إيجاد شيء منَ العدم، وإعدامِه منَ الوجود، يكون قادرًا على إعادته ثانيًا"[2].

مبالغتُهم في الإنكار، لا تغيّر مسار الأقدار، كما أرادها العزيزُ الجبّار

دلالة ورود قوله: ﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾ على صيغة المفعول:

التّعبير بصيغة اسم المفعول في قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾؛ لتأكيد إنكارهم، بنفي الوصف الدّالّ على الذّات والحَدَث والحُدوث، وهو أبلغُ وأوكدُ من نفي الفعل[3]، وفي هذه العبارة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ أكّدوا المعنى بنفي الوصف، كأنّهم قالوا: "ليس من شأننا أن نُبْعَث؛ لأنّ من مات لا يعود؛ ولأنّه لا تحيا العظامُ بعد أن صارت رميمًا"[4].

نفيُ الوصفِ أبلغُ من نفي الفعل

دلالةُ التّعبير بالجملة الاسميّة:

إيقاعُ النّفي على الجملة الاسميّة دونَ الفعليّة في قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾؛ أفاد تقويّةَ مدلولِه وتحقيقه[5]، وذلك بتأكيد أنّه ليس هناك إلّا الحياةُ الدّنيا، بما فيها منَ الموت والحياة اللَّذَيْن يتواردان علينا بالعشيّ والإبكار، فمولودٌ يولَد، وحيٌّ يُفْقَد، مع الإصرار على أن لا بعثَ بعدَ الموت أبدًا[6]، وجَعْلُ الدّلالةِ منطويّةً في الجملة الاسميّة المنفيّة إبانةٌ بمُرادهم منَ السّياق.

نفيُ البعثِ موحٍ بثبات هذا العِناد، ورسوخِه في الأذهان

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5073.
(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 6/ 82.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5073.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5073.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 56.
(6) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 506.

موقع جملة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ﴾ ممّا قبلها:

الكافر يتردّى بإصراره على الكفر، فيزدادُ به تأصّلًا في الإثم والشّرّ

جملة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ﴾ استئنافيّةٌ؛ للانتقال من مَرتبةِ الإنكار المُجرّد، إلى مرتبةِ التّهجُّم على مقام الرّسالة بالطّعن في الرّسول نفسِه[1]، وهذا الأمرُ مألوف في كلّ رسول يربو بينَ القوم، ثمّ يفاجئُهم بأنّه مرسلٌ منَ اللّه، فيستصغرون حالَه، على قاعدة: أنّ المعاصرة حجابٌ، وأنّ طائر الحيّ لا يُطرب.

بلاغة القصر في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ﴾:

رَمْيُهُمُ الرّسولَ بهذا الأسلوب، دليلٌ على افترائهم ومحضِ كَذِبِهم

جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ﴾، جرت على طريقة النّفي والاستثناء، فأفاد التّركيبُ قَصْر الموصوفِ على الصِّفة قَصْرَ قلبٍ إضافيًّا[2]، أي: لا كما يَزعم أنّه مرسَلٌ من اللّه[3]، ومعنى ذلك: أنّهم قصروا حالَ الرّسول على افتراء الكذب على اللّه تعالى[4].

سِرّ وصفهم الرّسول بلفظ ﴿رَجُلٌ﴾:

في كلّ زمان نجد الأفاضلَ النّبلاء، أغراضًا للحُثالةِ والوُضَعاء

التّعبيرُ عنِ الرّسول بلفظ ﴿رَجُلٌ﴾، في قولهم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ﴾، من غير أن يذكروا اسمَه، أو رسالتَه، فيخبرون عنه بلفظ ﴿رَجُلٌ﴾، المُتوغّلِ في التّنكير والإبهام؛ فيه نوعُ ازدراء وعدم اكتراث، وخفْضٍ من مقام الرّسول، كأنّهم بالتّعبير بلفظ ﴿رَجُلٌ﴾ يُمَهِّدون به للازدراء الكاملِ بحَصْر الرّسول في الافتراء عليه سبحانه، وأيضًا: في إجراء أنّه ﴿رَجُلٌ﴾ متابعة لوصفه بالبشريّة، في قولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ تقريرًا لدليل المماثلة المُنافية للرّسالة في زعمهم، أي: زيادةً على كونه رجلًا مثلَهم، فهو رجل كاذب[5].

نُكْتَةُ تنكير ﴿كَذِبًا﴾:

الكذبُ أسوأُ الأخلاق، ووَصْفُ الرّسولِ به محضُ سَفَهٍ واختلاق

تنكير ﴿كَذِبًا﴾ للتّعظيم والتّكثير، أي: كذبًا عظيمًا في نفسِه، أو

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5073.
(2) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 174.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 57.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5073.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 57، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5073.

عظيمًا في عدده وكثرته، ولا شكّ أنّ الكذبَ مُستقبَحٌ منَ النّاس جميعًا، والقولُ بحرمته أمرٌ متّفق عليه في كلّ الشّرائع والقوانين، وفي كلّ المِلَل والنِّحَلِ بلا استثناء، لكنّه سوف يكون أقبح وأبشع، إذا وُصِفَ به رسولٌ، أو لُمِزَ به نبيٌّ منَ المُكَلّفين بالبلاغ، فهو طعنٌ في مصداقيّته، واتّهامٌ له في صدق بلاغه، فالكاذبُ لا يُؤتَمَن، ولا تُقْبَل عدالتُه ولا شهادته.

دلالةُ تقييد الافتراء بكونه كذبًا:

لفظ ﴿كَذِبًا﴾ في قوله: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ مفعولٌ مطلقٌ؛ لتأكيد الفعل بالحَدَث، أي: يفتري افتراءً، ويكذب كَذِبًا، أو مفعولٌ لأجله؛ لتبيين عِلّة الافتراء، أي: يفتري لأجل الكذب[1]، ولم يقل: (افترى على اللّه) بدون إقران الكذب؛ لكونهم أرادوا تنفيرَ النّاسِ عنه، والتّنفيرُ يقتضي إقرانَ المَذامّ، واستفراغَ الوسع في حشْدها ونشرها، والتّشهير بها.

التّنفيرُ يقتضي حَشْدَ المَذامّ واستفراغَ الوُسْعِ في نشرها بينَ الأنام

بلاغةُ التّذييل بجملة ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

التّذييل بقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بعد قولهم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ في حكم التّعليل له، ومن باب عطف اللّازم على ملزومه، كأنّهم قالوا: إن هو إلّا رجلٌ افترى على اللّه كذبًا ولذلك لا نُؤمن، فعَدمُ إيمانِهم لازمٌ عنِ افترائه الكذبَ؛ فالأوّل: رميٌ بالجناية، والثّاني: تبرّؤُهم من صاحبها[2].

البراءةُ منَ الجناية، يستتبع البراءةَ من فاعلها

معنى اللّام في شبه الجملة ﴿لَهُۥ﴾:

اللّام في قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ للاختصاص والعِلّة، أي: وما نحن لأجله بمصدّقين ومُذعنين، أو ما نحن بمختصّيه بالإيمان، ولم يقل: (وَما نَحْنُ بِهِ بِمُؤْمِنِينَ)؛ لتضمين الإيمان معنى الخضوعِ والاستسلام[3].

التّسليمُ والخُضوع يتعدّى باللّام، ويدلّ على المرام

(1) الخطيب، التّفصيل في إعراب القرآن: 9/ 57.
(2) صافي، الجدول: 18/ 179، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 57.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5073.

سِرّ تقديمِ الجارِّ والمجرور على متعلّقه:

تقديمُ الجارّ والمجرور على الخبر في قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ للاعتناء والاختصاص، وتقديمه يدلّ على عنادهم ومنتهى تجهّمهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحياةُ والعَيشُ:

الحياة: خلافُ الموت، وهي القوّة النّامية الكامنة المودَعة في الإنسان والحيوان والنّبات، وهي آلة العيْش والكسب، والسّعي في الأرض، فهي منَ الصّفات الّتي تُعرَف بآثارها، كالتّفاعل والنّموّ والإدراك، والحياةُ صفةُ كمالٍ للّه سبحانه، وكلِّ حيّ في الموجودات، فحياتُه أثرٌ من آثار صفة الحياة الكاملة للإله العظيم سبحانه.

العيشُ هو نتيجة الحياة، وأثرٌ من آثارها المُتوخّاة في الواقع

وأمّا العيش: فهو ما تعلّق بالحياة من أسباب الحاجة الّتي تستبقي هذه الحياة، فالتّغذية والسّكن واللّباس والدّواء وغيرها، هي الحاجاتُ الّتي تستبقي قوّةَ الحياةِ في الإنسان، والعيشُ هو تفاعلُ قوّةِ الحياة في الإنسان مع هذه الأسباب، ولذلك قالوا: العيشُ هو الحياة المختصّة بالحيوان؛ لأنّها حياةٌ مرتبطة بأسبابِ استمرارِه في الوجود، وهي أسبابُ حاجتِه الّتي تدلّ على نقصه، ولذا كان العيشُ أخصّ منَ الحياة؛ لأنّ الحياة يوْصَف بها الحيوانُ، ويوْصَف بها وصف كمال الباري الجليلُ سبحانه[1].

وعليه: فالعيش أخصّ من الحياة، وهو حياة الحيوانُ فقط، وهو لا يكون إلّا بالحياة، فالحياةُ مادّة العيش وآلتُه.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حي)، والراغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حيي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»